حول إقامة «وطن يهودي» وهجرة يهودية لمناطق غير فلسطين

تعريف:

نضع بين يدي القارئ ترجمة لنصين لثيودور هرتسل بفكره الاستيطاني حول إقامة وطن يهودي وهجرة يهودية لمناطق أخرى غير فلسطين: النص الأول يتعامل مع فكرة الاستيطان في أوغندا، والنص الثاني يتعامل مع اقتراح الاستيطان في جزيرة قبرص.

النص الأول هو عبارة عن مدونة كتبها هرتسل كتقرير كان من المزمع نشره في مجله دي وولت.

أما النص الثاني فقد نشر العام ١٨٩٩ في صحيفة رومانية- الحقيقة. وفي هذا النص يتطرق هرتسل لفكرة الهجرة والاستيطان في قبرص وهي فكرة كان قد روج لها الكاتب الروماني الصهيوني دافيد تريتش.

في كل من النصين هناك استعداد لدى هرتسل لتداول الفكرة لكن ليس كبديل عن فلسطين. وهدف هرتسل الأساسي كان الحصول على موافقة مبدئية على الاستيطان الصهيوني من دولة عظمى كي يشكل ذلك سابقة ومدخلا يؤسس من خلاله لفكرة الدولة اليهودية.

١- جزء من مدوّنة (مخطوطة) عن موضوع أوغندا

كما هو معلوم، اقترح وزير المستعمرات البريطانيّ، السيد تشامبرلن، على الدكتور هرتسل اقتراحه بشأن توطين الشعب اليهوديّ في شرق إفريقيا، مع منحه حقوقًا كافية. وقد فعل ذلك بالكلمات التالية: « إنها بلاد يستطيع الإنسان الأبيض أن يعيش فيها، وفيها تستطيعون أن تزرعوا السكر والقطن». اقتراح كهذا الذي خرج به ذلك الشخص ما كان ليتبلور سوى من باب علاقة الاحترام. وقد قرّرت اللجنة التنفيذيّة المقلّصة أن تدرس أولا جميع تفاصيل الموضوع من حيث مضمونه وحجمه، كما كُلِّف السيد غرينبرغ في لندن بمهمة التفاوض التمهيديّ في هذا الشأن.

ولكن، عندما ذهب الدكتور هرتسل إلى روسيا، حاول أن يحصل على دعم الحكومة الروسيّة لأرض إسرائيل فحسب، وهذا ما يظهر جليًا، إلى جانب أمور أخرى، من خلال رسالة السيد فون بلافا المعروفة التي نُشرت في بازل. في الوقت نفسه جاءت أيضًا رسالة السير كليمنت هيل وفيها اقتراح مفصّل بشأن شرق إفريقيا البريطانيّ. وقبل انعقاد الكونغرس التأمت اللجنة التنفيذيّة المكبّرة حيث طرح الدكتور هرتسل عليها السؤال حول ما إذا كان يجب أساسًا طرح الاقتراح بخصوص شرق إفريقيا البريطاني أمام هذا الكونغرس، أم أنه كما في حالة العريش يجب فحص الموضوع أولا قبل طرحه للنقاش العلنيّ.

أبدى الدكتور هرتسل تخوّفًا من قيام أشخاص معينين، ومن باب الخطأ، باعتبار ذلك تنازلا عن خطة بازل. من ناحية ثانية، يُحظر نسيان ضائقة اليهود الحادة في شرق أوروبا والملاحقات، كيشينيف وما إلى ذلك؛ ولا يجوز نسيان أن الذين يكابدون المعاناة يطالبون الصهيونية بإلحاح متزايد بخطة للحاضر. استيطان مستقل من هذا النوع يشكل في جميع الأحوال فعلا راهنًا ذا أساس قوميّ طالما كان يتعذّر علينا أن ننال أرض إسرائيل.

حظي السؤال حول ما إذا كان يجب التباحث فورًا في الاقتراح الإنجليزيّ في الكونغرس برد إيجابيّ من اللجنة التنفيذيّة المكبّرة. وقد علّل الدكتور برنشطاين كوهين من كيشينيف، ويقيم الآن في كراكوف، موافقته بالكلمات التالية: « الآن، نذهب حتى إلى جهنّم».

سير المداولات في الكونغرس وما تلا ذلك معروف. بعد أن تقرّر بشأن الوفد كانت هنالك حاجة لتأمين الموارد اللازمة ولكن قيودًا خاصة تتعلق بهذا الأمر فُرضت على اللجنة التنفيذيّة المصغّرة، إذ حُظر عليها أن تحصل على المال من «شيكل» أو من «البنك الكولونيالي» أو «شركة أنغلو- فلسطين» أو من الكيرن كييمت طبعًا. جُمعت بعض التبرّعات المُقدّمة طوعًا التي كانت بالكاد تكفي لتغطية تكاليف الكتب والتجهيزات العلمية للوفد المخطّط. عندها توجّه الدكتور هرتسل، في ١٥ أيلول ١٩٠٣، برسالة إلى Jewish Colonization Association (الشركة اليهوديّة للاستيطان) سائلا عمّا إذا كانت تريد المشاركة في دفع تكاليف الوفد. ورد في الرسالة، بين أمور كثيرة أخرى، ما يلي: «في طريقنا صوب أرض إسرائيل، التي سنواصل السير عليها بحزم ودون ارتداع وبكل حماس، حقّقنا نتيجة مرحليّة». كذلك، ذُكر لاحقًا أنه في حالة قيام كونغرسنا القادم، المُخوّل بالحسم، برفض الاستيطان في شرق إفريقيا، تستطيع JCA أن تتولى الموضوع كمشروع استيطان خيريّ على نفقتها الخاصّة. ظاهريًا، ردت JCA بالموافقة على تحمّل نصف نفقات الوفد ولكنها أناطت ذلك بشرط غير ممكن، وهو أن لا يكون للموضوع، منذ البداية، أي صبغة سياسيّة. في ردّه على ذلك، كتب هرتسل أن تلك الموافقة الظاهريّة هي في الواقع ليست سوى رفض.

في هذه الأثناء ظهر في ترانسنفال صهيونيان من ذوي الشجاعة والمقدرة وأعلنا عن استعدادهما لتحمّل كل نفقات الوفد، وللانضمام إليه بأنفسهما إذا اقتضى الأمر.كان هذان السيدان غولدرايخ، رئيس الاتحاد الصهيونيّ في جنوب إفريقيا، وأهرون من يوهانسبرغ. قُبل هذا الاقتراح الجيد لكن الوفد كان ملزمًا بعدم الخروج إلا بعد أن تضمن الحكومة البريطانية وبالقدر الكافي الأساس القانونيّ لاستيطان محتمل.

ولأن اللجنة التنفيذيّة المصغّرة كانت منكبة في ذلك الوقت، كما كان قبل ذلك، وبكل ما تملك من قدرة، على الاقتراب من هدفنا في أرض إسرائيل، فإن هذا الأمر تابع لفصل آخر. وبحلول الوقت سوف تُقدم أخبار مسنودة بالوثائق يمكن من خلال تاريخها فحص الأمر.

٢- عن خطة لاستيطان يهوديّ في قبرص

(مقابلة مع الصحيفة الرومانيّة «أديفرول»- الحقيقة)

(تشرين الأول ١٨٩٩)

يجب أن تكون غاية الصهيونيّة السياسيّة الوحيدة إنشاء دولة اليهود، فهي الوحيدة القادرة على منح الشعب اليهوديّ الخلاص والراحة اللذين يحتاجهما.

الاستيطان الكثيف الذي يتم بموجب خطة معيّنة، ويتيح على الفور إنشاء صناعة وتجارة كبيرتين، هو الاستيطان الوحيد الذي باستطاعته أن يضمن للمستوطنين أوضاعًا اقتصادية جيدة. ومع ذلك، أنا على قناعة أن لا شيئ يجب أن يحرفنا، نحن الصهيونيين، فننسى للحظة غايتنا المنشودة، مثلنا الأعلى السياسيّ، الذي بدونه تبقى كل عمليات الانقاذ بمثابة بدائل فحسب- من هذا المنطلق لم أجد ضرورة لمحاربة فكرة السيد تريتش[١] بخصوص الاستيطان في قبرص.

لا تقتصر معاناة الغالبيّة الساحقة من اليهود على الضغط السياسيّ، ففي الكثير من الأماكن تحرمهم الضائقة الاقتصادية من الحياة، تدمرهم من الناحية الماديّة وتخمدهم من الناحية المعنويّة. لذلك فسيكون من الخطأ الفادح رفض مشروع من شأنه أن يحسن الأوضاع الاقتصاديّة الراهنة لعدد معيّن من اليهود، ولا سيّما إذا أخذنا بعين الاعتبار حقيقة أن الحالة الاقتصادية والمعنويّة الجيدة لليهود هي شرط أساس لكي تضرب الصهيونيّة السياسيّة جذورها في صفوف هؤلاء الناس.

لذلك، ليس لدينا أي مبرّر لمقاومة الاستيطان في قبرص. الحجّة الوحيدة التي كان من شأنها أن تسوّغ معارضة هذا الاستيطان هي لو كنا نعرف مسبقًا بأن الوضع الاقتصاديّ للمستوطنين لن يكون أفضل مما كان عليه في المكان الذي هاجروا منه. لكنني لا أعرف طبيعة الأوضاع في قبرص حق المعرفة لكي أستطيع أن أؤيد هذا الاستيطان أو أعارضه، أما السيد تريتش فيعرف الأوضاع هناك. وهذا يكفينا؛ حيث أن لا شيئ يهم هنا سوى الشأن الضميريّ، فحثّ الناس على مغادرة مكان إقامتهم والهجرة إلى بلاد أخرى لم يسمعوا في حياتهم عن لغتها وتقاليدها ليس أمرًا يُستهان به. قلت من قبل أنه يكفي أن نعلم بأن السيد تريتش يعرف قبرص لكي لا نعارض فكرة الاستيطان هناك؛ ومن المؤكد أنه يدرك جيدًا المسؤوليّة التي يحملها على عاتقه، فإذا كانت هجرة بعض العائلات إلى قبرص ستشكل عونًا لها في الوقت الراهن فلماذا نعارضها نحن الصهيونيين؟

ولكنا، إذ لا نعارض الاستيطان في قبرص، إلا أن علينا أن نعارض بكل صرامة الاستيطان المفرّق، الأشبه بالتسرّق، في أرض إسرائيل، وذلك من منطلقين. الأول، لأنه ليس من الممكن أن يتم توطين أرض إسرائيل على نحو يعود بالفائدة على اليهود إلا إذا انطلق ذلك من هدف سياسيّ معلن، ومعترف به من قِبل السلطان. والثاني، لأن توطين أرض إسرائيل بدون أي شروط مسبقة سيجعل أوضاع المستوطنين غير آمنة بالمرّة، فالحكم الذي يسود هناك، كما هو معروف، هو حكم طغاة. وعلى الرغم من أن السلطان الحاليّ، كما هو معلوم لي جيدًا، يريد الخير لليهود، لكنه من غير الممكن معرفة ما يخبئه المستقبل لليهود إذا لم يأخذوا بجميع أسباب الحيطة والحذر مسبقًا.

الوضع مختلف في قبرص، فعلى هذه الجزيرة تسيطر انجلترا- دولة مستقيمة وحضاريّة طالما لا يكون غرضها سلب حقول الذهب، كما يحدث الآن في مسألة البوير.[٢] لذلك، فإن من الممكن أن يكون وضع اليهود هناك آمنًا أكثر، وفي جميع الأحوال أكثر استقرارًا. وهذا مبرر آخر لعدم معارضة الاستيطان في هذه الجزيرة الجميلة، ناهيك عن أفضليتها الأخرى المتمثّلة في كونها محاذية لأرض إسرائيل.

[مترجم عن العبرية/ ترجمة: نبيل الصالح]

---

١ دافيد تريتش هو كاتب صهيونيّ، كان من أنصار «أرض إسرائيل الكبرى» (التي تشمل العريش وقبرص اللتين كانتا ترزحان تحت الحكم البريطاني)، واقترح بدء العمل على التوطين الفوريّ ليهود رومانيا في قبرص. في رومانيا شهد اليهود فترة من الملاحقات والضيق الاقتصاديّ الشديد.

٢ المقصود هنا هو الحرب بين انجلترا وبين المستوطنين من أصل هولنديّ (البوريين) في جنوب إفريقيا.